حتى أراد السفر إلى الجنوب لانقاذ صناعة الحرير فى تلك الجهات . ولما أشفق عليه أعوانه وأصدقاؤه صاح فيهم يقول « ان من الاجرام القعود عن تخليص الدود من الوباء بينما الكثيرون من أربابه يطلبون القوت فلا يجدونه » .

وعرفت فرنسا لبحاثتها هذا الفضل العظيم فأكبرته ، وجاء دوماس الشيخ إلى تلميذه السابق يثنى عليه ويمتدح قدرته . ولم يبق فى البلاد من ينكر فضله إلا نفر قليل ممن كانوا لايزالون على حقدهم ، وحبهم للحط من كرامة الغير والانتقاص من قدر أعمالهم .

ولكن هذا لم يثن من عزم باستير أو يثبط همته ، فسافر إلى إيطاليا والنمسا وألمانيا لتطبيق طريقته ، ولمعونة من سألوه المعونة فى تلك البلاد .

٧ ـ الحرب السبعينية وتأثيرها فى باستير

اعتزازه بقوميته — وبحوثه فى البيرة

عاد باستير إلى فرنسا مساء إعلان الحرب بينها وبين الألمان ، أى فى ١٩ يوليه سنة ١٨٧٠ . وقد عرفنا كيف كان يحب وطنه ، ويعمل مافى استطاعته لإعلان شأنه وتثبيت مجده . لذلك كان حزنه شديداً عند ماعلم بهزيمة بلاده ، وأثر فيه ذلك تأثيراً سيئا

فعاوده المرض وضعفت صحته ولم يقو على العمل . وزاد فى البلوى ماأصاب ولده وفلذة كبده فى الحرب حتى كاد يقضى عليه ، فسافر والده من أجله سفراً بعيداً ، تحمل فيه متاعب عديدة ، واستمر يعنى به ويواسيه حتى استرد صحته وقوته .

ولما أصبح حصار باريس قاب قوسين أو أدنى ، نصحه أصدقاؤه بمغادرتها ، فغادرها بعد امتناع ولزم بيته فى أربوا . وقد حدث من باستير فى ذلك الوقت مايدل بوضوح على صدق وطنيته وغيرته على بلاده ، وعلى انها كانت عنده فوق كل اعتبار . ذلك ان جامعة بون Bonn الالمانية كانت قد منحته درجة الدكتوراه الفخرية ، فلما رأى ماكان من عمل المانيا نحو بلاده ، لم يقبل أن يحتفظ بالدكتوراه ، ولا بدبلومها ، مع اعترافه بأن هذا التكريم الذى ناله من الخارج كان مصدر فخر وسرور له . فكتب إلى الجامعة خطابا تاريخيا يرد به اليها دبلومها ، ويعبر فيه عن مقدار سخطه . فلما قيل له ان الدبلوم قد أعطيت له لمكانته العلمية ، وأن العلم ليس له وطن ، قال هذا صحيح ، ولكن العالم يجب أن يكون له وطن .

ولم تكن هذه المرة الوحيدة التى أرادت فيها ألمانيا ، أن تكرمه إذ حدث فى سنواته الأخيرة ان رأت أكاديمية العلوم ببرلين أن تكرم بعض مشاهير العلماء والباحثين ، فأوصت أن يمنحوم

الأمبراطور أوسمة تليق بمقامهم ومكانتهم العلمية . وكان باستير من هؤلاء ، ولكن الأكاديمية خشيت أن يرفض هذا التكريم ، كما رفض الاحتفاظ بالدكتوراه من قبل ، فرأت أن تأخذ رأيه أولا فيما تريد ، فجاءها الرد الذى كانت تتوقعه .

وعرض عليه الطليان أن يدير مصنعا للحرير فى بلادهم فتردد ، ثم عرضوا عليه مركز الأستاذية فى جامعة بيزا Pisa ، وهو مركز له مرتب كبير مغر ، فرفض قائلا « من العار أن أترك بلادى فى محنتها ، وأقبل منصبا فى بلاد أجنبية لأنها تستطيع أن تدفع لى مرتبا أكبر مما تستطيع بلادى » .

وشمل كرهه كل ماهو ألمانى ، حتى لقد وجه بحوثه إلى مناهضة صناعة ألمانية ، فعمل جهده لتحسين البيرة الفرنسية لتفوق البيرة الألمانية . وله فى ذلك بحوث قيمة فى الناحيتين النظرية والعملية . ولا جدال فى أنه أعان هذه الصناعة فى بلاده إعانة كبيرة ، شهد بها الخارون أنفسهم ، ولكنه مع ذلك لم يستطع أن ينال كل ماتمناه فيجعل من البيرة الفرنسية مع جودتها نداً للبيرة الألمانية ذائعة الصيت إلى وقتنا هذا .